النقد الأدبي في صدر الإسلام ج1

إذا كان عصر الجاهلية قد شغلهم عن إنشاء الشعر وروايته عن التفكير في إرساء قواعد واضحة لنقده ودراسته، فإنّ المسلمين قد شغلهم الإسلام ببلاغته ومضامينه، وشغلهم أمر تبليغه إلى الناس، وشغلتهم بعد ذلك الفتوحات الإسلامية عن الإهتمام بالشعر عامة ونقده خاصة.

وإذا عرفنا أن العصر الجاهلي الذي وصلت فيه القصيدة إلى أعلى مستوى من النضج الفني، لم يعرف نقدًا يكون في مستوى هذا النضج، فكيف يكون الحال في العصر الإسلامي الذي ترك الشعر فيه مكانه للدين الجديد. ومع كل ذلك فإننا نستطيع أن نجمع بعض النصوص والأخبار والتعليقات من هذا العصر كنماذج نقدية.

أولا: نقد الرسول صلى الله عليه وسلم للشعر:

لقد حفظ الرواة قدرًا مهمًا من الأخبار والروايات والأحاديث التي تعرض لموقف الرسول عليه الصلاة والسلام من الشعر، وتكشف عن صلاته بشعرائه من المسلمين، وتعكس هذه الأخبار أمرين مهمين:

1- أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يتذوق الشعر، وهو لذلك يحرص على أن يستمع إلى شعرائه ويأمرهم لينشدوه بين يديه.

2- أنه كان يحرص على أن يتخذ من هذا الفن سلاحًا في الدفاع عن الدين الجديد. وينبغي الإشارة إلى أنّ مواقف الرسول صلى الله عليه وسلم من الشعر والشعراء مطابقة لما جاء في القرآن الكريم، وممّا يصور لنا احتفاءه بالشعر وتذوقه لنماذجه الجيّدة مايروى من أنّ بعض الشعراء أنشده، قوله:

وإن دحسوا للود فادحس بمثله وإن خنسوا عنك الحديث فلا تسل

وإنّ الذي يؤذيك منه سماعه وإنّ الذي قالوا وراءك لم يقل

فقال عليه السلام تعليقا على الأبيات مظهرا إعجابه بها واستحسانه لها:"إنّ من الشعر لحكمة، وإنّ من البيان لسحرًا"

ويروى أيضا أنّ الرسول سمع قول طرفة بن العبد:

ستبدي لك الأيام ماكنت جاهلا ويأتيك بالأخبار من لم تزوّد

فعلق قائلا: هذا من كلام النبوة.

ويروى أنه قال عن امرىء القيس، هو قائد الشعراء وحامل لوائهم، وتضيف رواية أخرى "إلى النار".

وهناك ناحية أخرى أشدّ خطرًا وأعمق دلالة على علاقة الرسول صلى الله عليه وسلم بالشعر، وتتمثل في إختياره عليه السلام لشعراء الدعوة وإعدادهم للدفاع عنها على أساس من فهم لطبيعة الشعر وقيمته وأثره في المدح أو الهجاء، وكان يعرف للشعراء مذاهبهم وقدراتهم، ويعرف أيهم أقدر على هذا

الغرض، وأيهم أقدر على ذلك، وقد جاء في الأخبار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان يهجوه ثلاثة من شعراء قريش وهم: عبد الله ابن الزبعري، وأبو سفيان بن الحارث، وعمرو بن العاص، فقال رجل: يارسول الله إذن لعليّ كي يهجو عنا هؤلاء القوم الذين هجونا، فقال عليه السلام: ليس عنده ذلك، ثم قال للأنصار: مايمنع القوم الذين نصروا الله بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم، فقال حسان بن ثابت: أنا لها، فقال: كيف تهجوهم وأنا منهم، فقال: إنّى أسلك منهم كما تسلّ الشعرة من العجين، فقال عليه السلام: اذهب إلى أبي بكر فليحدثك حديث القوم وأيامهم وأنسابهم ثم اهجهم، وجبريل معك.

ولعل في هذه الأخبار مايبين موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من الشعر من جهة، وحكمه النقدي وذوقه الجمالي من جهة ثانية، ومن هذه الأخبار نتسنتج مايلي:

أ- أنّ نقد الرسول صلى الله عليه وسلم ينصب أساسا على مضامين الشعر ومعانيه، فما كان مطابقا لروح الإسلام وللقيم الإنسانية الأصلية استحسنه وحث عليه، وما كان دون ذلك عابه واستهجنه.

ب- أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان ينظر إلى الشعر على أنّه سلاح كالسيف تمامًا.